12me Année No. 566

Lundi - 8 - 5 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

ابو عمونات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٦٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٦٣ — الموافق ٨ مايو سنة ١٩٤٤ السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٣٨١ دفاع عن البلاغة ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...

٣٨٣ السلك السياسى . ... : الأستاذ راشد رستم ... ...

٣٨٦ شـعر ناجى ... . : الأستاذ دريني خشبة ... ...

٣٨٩ الألغاز فى الأدب العربى ... : الأستاذ محمود عزت عرفة ...

٣٩١ القرآن الكريم فى كتاب « النثر الفنى » ... ... : الأستاذ محمد أحمد الغمراوى

٣٩٤ نقل الأديب ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٣٩٥ الوادى المقدس [قصيدة] : الأستاذ سيد قطب ... ...

٣٩٦ الشعر الجديد .. .. : الأستاذ الكبير (ا . ع)

٣٩٧ كتابة الاسبانية بالحروف العربية ... ... : السيد أحمد مدينة . . ...

٣٩٧ البيت الذى يعدل ألف بيت : الأديب محمد على خليل ...

٣٩٧ بقـايا نغم ... ... : الأديب عبد القادر محمود ...

٣٩٨ كتاب « الفلاحون » والدكتور غلاب . . ... : الأستاذ (د . خ) . . . ...

٣٩٩ سمى حسن . [قصصة] : الأستاذ نجيب محفوظ . .

١٧ ـ دفاع عن البلاغة

٩ ـ التلاؤم فى الأسلوب

بقى الكلام فى الصفة الأخيرة من صفات الأسلوب الجامعة وهى : التلاؤم أو الموسيقية أو (الهرمونية) . وإذا بلغنا هذه الصفحة من قضية البلاغة ، فقد بلغنا موضع التهمة التى تُريب المتهِم ، وتعتسف الدليل ، وتنكر الذوق ، وتُنزل القيم الفنية منزلة العبث . تلك هى تُهمة اللفظ بالأناقة ، والتركيب بالموسيقى ، والأسلوب بالرفعة . ولو كانت هذه التهمة الجريئة تقصد الجمال المزيف والحسن المجتلب لما حكّ فى الصدور من ناحيتها شىء ؛ ولكنها تقصد التعبير الجميل الذى يتميز به كلام الأديب عن كلام الناس ، وصوت المغنى عن صوت الحمار ، ورسم المصور عن تناشير الطفل . والرواية على الجمال اللفظى بهذا التعميم وهذا الإطلاق بدعة من بدع هذا العصر الذى اعتلت به الأذواق واختلت فيه المقاييس . وليس لأكثر البدع مسوّغ من الفطر السليمة والفِكَر الصالحة . إنما هى نزوات فى بعض الرءوس ، أو نزغات فى بعض النفوس ، تصدر عن شذوذ فى الفكر أو حَصَر فى الذوق أو عجز عن الكمال . وإلا فكيف تعلل إنكارهم تجميل الأسلوب وهم لا يفتأون كسائر الناس يطلبون الجمال فى شتى ضروبه ومختلف صوَره ؟ لماذا يثورون على تنميق الكلام بدعوى أن الغرض منه الفهم

والعلم ، ولا يثورون على تزيين الطعام وتحلية الهندام وتزويق المسكن ، والغرض الأصيل منها الغذاء والوقاء ؟ لِمَ لا يقفون موقف الحيوان عند حدود الضرورة من مآرب العيش ومطالب الجسد ، فلا يتفننوا فى تلاؤم الأجزاء فى اللباس المهندم ، ولا يتأنقوا فى تنضيد الألوان على الخوان الموشّى ، ولا يتنافسوا فى تنجيد الأثاث للبيت المزخرف ؟ وإذا كان أحدهم لا يحب أن يلبس الثوب المرقع ، ولا أن يسكن الكوخ النابى ، ولا أن يتزوج المرأة المسيخة ، ولا أن يسلك الطريق الوعر ، ولا أن يركب المركب الخشن ، فلماذا يكره أن يسمع الكلمات العذبة والفقر المتسقة والجمل الموزونة والأصوات المؤتلفة ، والنظر والسمع فى هذا المقام سواء « فإن هذا حاسة وهذا حاسة ، وقياس حاسة على حاسة مناسب »[1] « وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن إلى ما يوافقه ، وتنفر عما يضاده ويخالفه . والعين تألف الحسن وتقذى بالقبيح ؛ والأنف يرتاح للطيب وينفر للنتن ؛ والفم يتلذذ بالحلو ويعج المر ؛ والسمع يتشوف للصوت الرائع وينزوى عن الجهير الهائل ؛ واليد تنعم باللين وتتأذى بالخشن ، والفهم يأنس من الكلام بالمعروف ، ويسكن للمألوف ، ويصغى إلى الصواب ، ويهرب من المحال ، وينقبض عن الوخم ، ويتأخر عن الجافى الغليظ . ولا يقبل الكلام المضطرب إلا الفهم المضطرب والروية الفاسدة »[2]

الحق الصريح أن الذين يدّعوننا أن نكتب كما نتكلم إنما يزوّرون حقيقة الفن فيهم بنقيصة العجز منهم ، بدليل أنهم يجدون فى أنفسهم حلاوة الرضا إن وقعت فى كلامهم عفوا كلمة أنيقة أو جملة رشيقة أو سجعة محكمة . ذلك لأن الإنسان يتميز من سائر الحيوان بأن أحاسيسه التى تصل إليه عن طريق المشاعر ، وعواطفه التى تنشأ فيه من فعل الغرائز ، إنما تتوالد فى ذهنه وتتكاثر فى خياله حتى تزيد على ما تقتضيه طبيعة وجوده أضعافاً مضاعفة . هذا القدر الموفور المذخور من العواطف والأحاسيس لم يزل يطلب متنفّساً ينبثق منه ومفيضاً ينسرب فيه حتى وجد الفنون الجميلة الأربعة فاستفاض مخزونه واستمان مكنونه بتسجيع القلم وترجيع الفيثار وتلوين الريشة وتمثيل المنحت . فالإنسان كما قال طاغور فنان فى الكثير الغالب من أمور دنياه ؛ فهو يجمّل الهيئة ويحسّن الشارة وينمق العبارة ويهندس الدار ويرقّش الغرف ويزخرف الأثاث ويتمم الحديقة إعلاناً لشعوره وإبرازاً لشخصه وإثباتاً لوجوده

وهو يشيد المعابد الفخمة ، وينصب فيها التماثيل الرائعة ، ويرسم عليها الصور البارعة ، تعبيراً عن مكنون عواطفه لربه ودينه

وهو كذلك يخطط المدائن الجميلة ، ويمهّد الشوارع الظليلة ، وينسق الحدائق العامة ، تنفيساً عن مكظوم عواطفه لأمته ووطنه

من ذلك تعلم أن جمال العبارة وجلال الأسلوب من الصفات المشتركة فى جميع الناس ، تتفق فى الوجود والمظهر ، وتختلف فى الطاقة والدرجة . فالعامة يستعملون الوزن والسجع والجناس متى جاشت فى صدورهم عاطفة أو جرت على ألسنهم حكمة ، فمواويلهم وأناشيدهم وأغانيهم موزونة أو موقعة ، وأمثالهم وحكمهم وضوابطهم مزدوجة أو مسجّعة . وكلما سمت الطبقة واتسعت الثقافة وصدق الشعور وصفا الذوق وأرهفت الأذن سما الأسلوب من الجميل إلى الأجمل ، ومن الجليل إلى الأجل ، حتى يبلغ الأوج عند كلام الله . إن جمال اللفظ وطلاوة التعبير تابعان لقوة العاطفة وجلالة الموضوع ، لا فرق فى ذلك بين أدب العامة وأدب الخاصة ؛ فلغة القضاء بين البدو لا تزال إلى اليوم فى بوادى العروبة تجرى على سَنَنها المتبع فى الفصاحة وإن كانت عامية ؛ فالمتهِم يتهم بالسجع ، والمدافع يدافع بالسجع ، والقاضي يحكم بالسجع . والأصل فى سجع الكهان الجاهليين ذلك السمو الذى كان يحسه الكاهن فى نفسه وفى مقامه ؛ فقد كان كهان العرب ككهان الإغريق يزعمون أنهم مهبط الإلهام وأنجباء الأرباب ، فكانوا يسترحمونهم بالأناشيد ، ويستلهمونهم بالأدعية ، ويخبرون الناس بأسرار الغيب فى جمل مختارة الألفاظ مسجوعة الفواصل لتكون أسمى من كلام الناس وأجدر بصدورها عن الآلهة

أريد أن أقول إن توخى الجمال المطبوع فى الأسلوب أصل فى طبائع الناس امتد منها إلى تكوين اللغة وإنشاء الأدب . فإذا سلمت فى المشيء الفطرة وواتته الملكة وساعده الاطلاع ، وكان قد تضلع من علوم اللسان وأحاط بأسرار اللغة ، صدر عنه الكلام رقيقاً من غير قصد ، أنيقاً من غير كلفة

(للكلام بقية) أحمد حسن الزيات

(١) المثل السائر ص ٥٦ (٢) الصناعتين ص ٤١